البيان لخطر العلمانية على الدين الأخلاق وشريعة القرآن

الشيخ حامد العلي

بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

مُقَدِّمَة

الحمدُ للهِ العليّ الكَبِير ، أَشهَدُ أَن لاإِلهَ إلاّ هُو وَحدَه لاشَريكَ لَهُ الحكيمُ الخبير ، أَنزَلَ القُرآنَ ، وَأَمَرَ بالإِيمان ، وَجَعَلَ الإِسلامَ الدينَ الثابِتَ الأَركان ، وَفَرَضَ الدخولَ فِيه كافَّة ، على الكافَّةِ من الإنسِ والجان ، وحَكَم على كُلِّ مَنهَجٍ يُعارِضُه ، أَنَّه ضَربُ مِن الشِركِ والكُفران ، وتخليطُ مِنَ الهَذَيان ، واتِّباعُ للشَيطان ، وَسَبيلُ إِلى الضلالِ والخُسران .

وأَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ علَيهِ وَعلى آلِه وَصحبِهِ وَسَلّم ، عبدُ الله ورسولُه ، أرسَلَه بالمحجّة البيضاء ، والمِلّة السَمحاء ، فَأَتي بأوضِحِ البَراهِين لأقوَم دين ، وَأبان مَحَجّةَ السالِكِين ، وَحَكَمَ عَلى كلِّ مَن عَصاه وَخالفَ مَنهَجَهُ أَنَّه مِن الضّالِّين الخاسِرِين .

وَبَعد :

فِإنَّه لَمَّا كَثُر في الآوِنة الأَخيرةِ تَرديدُ كَلِمةِ " اللِيبراليِّةِ " عَلى أَلسِنةِ النَّاس ، وَعَلى صَفحاتِ الصُّحُفِ اليَوميَّة وَغَيرِها مِنَ وَسائِل الإعلام ، بَعدَ أَن نَشَأَت أحزابُ في الكُويت تَنتَسِبُ إِلى هذِهِ العَقيدةِ الضالَّة ، وَغَدَت تَدعُو إِلى مَبادِئِها الهَدَّامةِ ، مِثل :

- الدعوة إلى ترك الإحتكام إلى الشريعة الإلهيِّة بدعوى اللحاق بركب المستقبل.
- وإلى السماح بنشر الدعوة إلى الكفر والإلحاد ، بدعوى التسامح والإنفتاح على الثقافات الأخرى احترام حريِّة الرأي والنشر والتعبير.
- وإلى الهبوط من سموِّ الأخلاق الإسلامية ، إلى حضيضِ الرذائل البهيميِّة ، تحت شعار الحريّة الشخصيّة.
- وإلى محاربة الفضيلة وحجاب المرأة والعفاف والشيم الكريمة .
- وإلى الحضِّ على اختلاط الرجال بالنساء في كل موقع بصورة مشينة خارجة عن حدود الشريعة وضوابط الحشمة ، تحت ستار اتباع الحياة العصريّة .

وغدت هذه الأحزاب تحضُّ الناس على اعتناق هذه العقيدة التي تُدعى (الليبراليَّة) ، وماهي سوى تخاريف شيطانيَّة ، ابتدعها فلاسفة من أوربا ، حقيقة أمرهم أنهم زنادقة لايؤمنون برب معبود ، ولابيوم مشهود ، ولايدينون بشريعة إلهيِّة يلتزمونها ، ولابرسول يطاع ويتبع ، وإنما غاية مرامهم ، تزين المنكرات ، واتباع الشهوات ، والكفر بخالق الأرض والسموات .

و أما هذه الأحزاب الضالَّة فغاية مقصدها هدم الشريعة الاسلاميَّة وإلغاؤها

بالكليَّة ، أو عزلها من الحياة ، وحصرها في المسجد والعبادات الشخصيَّة ، ولهذا فهي تصف أحكام شريعة الله تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً بالظلاميّة والرجعيّة ، يصفونها بذلك تارة بالتلويح خوفا من ردود الفعل لدى أهل الغيرة على الدين ، من عامة المجتمع الكويتي ، وتارة بالتصريح ، وذلك عندما يأمنون وينفردون بأمثالهم من الشياطين.

وهدف هذه الأحزاب هو إلحاق الأمة الإسلاميّة ، بمناهج الغرب المتهتِّك الضالِّ الملحد الكافر ، وطمس معالم الأخلاق الإسلاميّة ، وصد الناس عن التمسُّك بتعاليم الكتاب العزيز ، والسنة النبويِّة الشريفة ، بدعوى اللّحاق بركب الحضارة المعاصرة ، كأنَّ الحضارة لاتكون إلا بالكفر والإحاد ، أوالتهتك والإنحلال والفساد .

لماّ كان الأمر كما وصفت آنفا ، رأيت أن أكتب هذه الرسالة الموجزة ، فأبيّن فيها بعبارة قريبة من القاريء العادي ، حقيقة المذهب (الليبراليّ) ، وأنه ليس سوى وجه من وجوه العلمانيّة اللادينيّة الرافضةِ لمنهجِ الله تعالى المتمثِّل في دين الاسلام ،والمستنكفةِ عن اتباعِ رسولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم فيما جاء به من الحقّ والهدى المبين.

كما أبيِّن مواطنَ السمِّ الزعافِ في هذا المذهب الخطير ، وأكشف الخطر الماحق الذي يشتمل عليه هذا الفكر ، وأنه الكفر بالله والصد عن دين الإسلام لاشيء سوى ذلك ، واضعاً أمام القاريء ، ماالذي سيؤدي إليه إنجراف المسلمين وراء هذه الأحزاب العلمانيّة .

وذلك كيما تستبين سبيل المجرمين ، وليأخذ المؤمنون حذرهم كما أمرهم الله تعالى ، وليأخذوا على أيدي المفسدين فيهم ، وليحذروا من اتباع هذه الأحزاب ، وليمنعوا رموز هذه الاحزاب ما استطاعوا من الوصول إلى المواقع التي تمكنهم من تطبيق أفكار حزبهم الخبيثة على المسلمين .

وليهلك من هلك عن بيِّنة ، ويحيى من حيَّ عن بيِّنة ، ولإقامة الحجة ، وبيان المحجَّة ، وليقذف الله بإذنه بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ، ولنصر الدين القويم ، والصراط المستقيم ، تقرباً إلى ربِّ العرش العظيم ، منزل القرآن الحكيم .

والحمد لله رب العالمين

المؤلف

أولا
بيان معنى العلمانيّة التي هي أمّ الليبراليّة

تعريف العلمانيّة :
العلمانيّة تعرف في البلاد التي نشأت فيها (أوربا) ب : ألاّ يكون الإنسان ملزما بتنظيم أفكاره وأعماله وفق معايير مفروضة على أنها شريعة أو إرادة

إلهيِّــة .
ويطلــق علــى هــذا الفكــر فــي اللغــة الانجليزيــة الــتي هــي لغتــه الأصــلية SECULARISM ، وهــي تعنــي (اللاَّدينيــة) ، غيــر أنهــا اشــتهرت باســم (العلمانيّة) ، ولعلَّ ذلك كان مقصوداً بغيةَ إلباسها لبوساً يجعلها مقبولـة بيـن المســلمين.
وفي قاموس (أكسفورد) عرفت بما يلي : (العلمانيَّة مفهوم يرى ضرورة أن تقـــــوم الأخلاق والتعليــــــم علـــــى أســــــاس غيـــــر دينــــــي) .

الأركـــــــان الـــــــتي تقـــــــوم عليهــــــا العلمانيــــــــة :
العلمانيـــــــــة تقــــــوم علــــــى ثلاثـــــــة أركـــــــان هــــــي :

الركن الاول : قصر الإهتمام الإنساني على الدنيا فقط ، وتأخير منزلـة الـدين في الحياة ، ليكون من ممارسات الإنسان الشخصيَّة ، فلايصح أن يتدخل فـي الحياة العامة ، وأما الدار الآخرة فهي لما كـانت أمـر وراء الطبيعـة ، فينبغـي في دين العلمانية أن يكون مفصـولا تمامـا عـن التـأثير فـي الحيـاة الماديـة ، وقوانينهــــــــــــــــــــــا المحسوســـــــــــــــــــــــــة .

الركن الثاني : فصـل العلـم والأخلاق والفكـر والثقافـة عـن الإلـتزام بتعـاليم الـــــــــــــــدين ، أيِّ ديـــــــــــــــن كـــــــــــــــــان .

الركن الثالث : إقامة دولة ذات مؤسسات سياسية على أسـاس غيـر دينـي.

كيـــف وصـــلت العلمانيّـــة إلـــى العـــالم الإســـلاميِّ والكـــويت :
بيَّنا معنى العلمانية في أصل منشئها ، وقد نقلت كذلك بهذا المعنـى إلـى بلاد الإسلام ، مع الإستعمار الاوربيِّ الذي هيمن على البلاد الإسـلاميّة إثـر سـقوط الدولة العثمانيّة ، وقد تحمّل الدعوة إلى العلمانيّة بعض المثقفين من العـرب وغيرهم في بلاد الإسلام ، ودعوا إلى تطبيق نظريّاتها حرفيّا ، كمـا دعـوا إلـى تبنِّي نظرة العلمانيّة لدين الإسلام ، كما كانت تنظر للدين النصرانيِّ المحرف في أوربا سواء بسواء ، ذلك أن العلمانيّة لاتفرّق بين الأديـان فـي أنـه يتحتَّـم فصل كلِّ منها عن شئون الحيـاة العامَّـة السياسـيَّة والاقتصـاديَّة والاجتماعيَّـة والتشــــــــــــــــــريعيَّة ..الـــــــــــــــــــخ .

وذلك أنَّه ليس في الفكر العلمانيّ تمييز بين الأديان ، فلايفرّق بين دين أصـله من إنزال الله تعالى ، وآخر من وضع البشر ، كما لا تـرى العلمانيّـة أي فـرق في الأديان التي أنزلها الله ، فلافرق لديها بين ديـن محـرف وآخـر محفـوظ ، بل الأديان كلها سواء ، يجب أن تعامل معاملة واحدة ، علـى أسـاس الأركـان الثلاثـــــــــــــــــة الســـــــــــــــــــابقة .

وقد انتشرت العلمانية في بلادنا الاسلاميِّة ، حتى وصلت الجزيرة العربيِّة مهد الإسلام ، ومهبط الوحي ، ودخلت الكويت أول ما دخلـت مـع ابتعـاث الطلبـة في الخمسينات الميلاديِّة للدراسة في الخارج ، فرجع بعضهم مشبَّعا بالأفكـار العلمانية ، فتبنَّتها شخصيَّات بـارزة ، وأحـزاب وصـحف ومؤسسـات كـثيرة .

العلمانية قد لاتنصب العداء للدين علانية ، بل تكيد له كيدًا خفيًا :

العلمانيّة ليست بالضرورة معادية للدين ، بل إنَّها أحيانا تفضل توظيف الـدين والإستفادة منه ، ولكن مع ضرورة حصره في ناحية من نواحي الحياة ، ولهذا قد لاتجد العلمانيّ يطعن في الدين ، بل قد يمدحه ويمجده ، بل قد يقول إنـه يجـــــــــب المحافظـــــــــة علـــــــــى الـــــــــدين .
ولكنك إذا سألته هل أنزل الله تعالى دين الإسـلام ليكـون هادياً لنـا فـي كـل أمور حياتنا ، فلايجوز لنا أن نرفض شيئاً منه ، فـإن جـوابه لايخـرج عـن ثلاثـة احتمـــالات :

الاول : أن يفـر مـن الجـواب إذا خشـي علـى نفسـه مـن التصـريح بمنهجـه العلمانيّ خوفا من ردة فعل الناس ، كما يفعل السياسيّون عنـد خـوفهم مـن خســـــــــــارة الأصـــــــــــوات الإنتخابيّـــــــــــــة.

الثاني : أن يقول بوضـوح وصـراحة أن الـدين يجـب أن نعزلـه عـن السياسـة والثقافة والفكر ، وعن حياتنا الإجتماعيّة ، كما أنه لايصح أن نجعـل الـدين هـو الحكم على كل شيء في الحياة بالصواب أو الخطأ ، وهنا قد يقول العلمـانيّ أن الدين له أن يحكم في أمور الروح ونحوها من الأمور الغيبيّة ، فكأنَّه ينـزل الـــــــــــــدين منزلـــــــــــــة الكهانـــــــــــــة .

وقد يحاول هذا الصنف من العلمانيين أن يكون لطيفا فـي عبـارته : فيقـول : إن الـدين علاقـة بيـن الإنسـان وربـه ، ولايعـدو أن يكـون مسـألة شخصـية .

وقد يحـاول بعضـهم أن يتحـذلق قليلا فيقـول : نحـن لانريـد أن نفسـد الـدين بإدخاله في السياسة أو الخلافات الحزبيّـة والثقافيّـة والفكريّـة ، ويقـول فـي صورة الناصح الأمين : دعوا الدين في المسجد فهنـاك حيـث يُحـترم ويُـوقَّر ، ولاتلطّخـــــوه بالـــــدنيا الدنيئـــــة ، فالـــــدين للآخـــــرة .

وهذا القول حقيقته هدم لدين الإسلام وشتم قبيح له ، وطعن خبيث فيه ، لأنه في حقيقته رمي للدين بأنه قاصر لايصلح لتسيير حياة البشر ، ومـا مَثَـل هـذا القول الماكر إلاّ كمثل من يشير على ملك من الملـوك ، بـأن لايُقحـم نفسـه فـــــي التصـــــرف فـــــي أمـــــور مملكتـــــه بشـــــيء .

ويقول له في كيد خفي : إن تدخلك يفسد هيبتك وجلالك ، فدع أُمور المملكة لهؤلاء المتصارعين على الدنيا ، وارتفع أنت في عرشـك عـن نزاعـاتهم فهـي لاتليق بك ، فكأنه في حقيقة الأمر يقول للملـك : تنـح وتنـازل عـن سـلطانك وأمرك ونهيك وملكك ، وكن كالصورة الجامدة الـتي لاحـراك فيهـا، والتمثـال الأصم الأبكم ، وإنما يقول ذلك لكي يُفسَح السـبيل فيتسـنَّى لغيـر الملـك أن يستحوذ على قوَّة السلطان الحقيقيَّة ، قـوة الأمـر والنهـي والحكـم والفصـل في شئون المُلك والسلطان ، ثم يصير أمر الملك إمّا إلى أن يكـون اسـما بلا حقيقة ، أو يسلب منه الملك سـلبا تامّـا، فلايبقـى معـه منـه اسـم ولارسـم ، فيهــوى إلــى مرتبــة العبيــد والســوقة ، بعــد الملــك والعــز والســلطان.

ومثل هذا الكيد الخـبيث يريـده هـذا الصـنف مـن العلمـانيّين بالـدين ، عنـدما يزعمون أنهم عليه مشفقون ، فيطالبون بتنحيته عـن مجـالات الحيـاة ، وهـذا الأسـلوب خطيـر جـدا ، لانهـم يلبسـون بـه الحـق بالباطـل ، ولهـذا يسـتعمله

العلمـــــانيّون كـــــثيرا لإضـــــلال النـــــاس والتلـــــبيس عليهـــــم .

الاحتمال الثالث : أن يقـول العلمـانيّ : إن الـدين كلـه حـق ، والاحتكـام إليـه واجب ، ولكن أين الذين يطبقونه كما أنزل ، ثم يأخـذ بعـد ذلـك بـالطعن فـي حملة الدين واتهامهم بأنهم يسـتغلون الـدين لمـآربهم الشخصـية ، ويسـميهم (متأسلمون) أو (أهـل الإسـلام السياسـي) أو (المتـاجرون بالـدين) ..الـخ وهويقصد الطعن في الدين نفسه ، ولكن بطريقة ملتوية خبيثة ، لأنه يريـد أن يقول : لانستطيع تطبيق دين الإسلام والعمل به في كل شـئون الحيـاة ، لانـه لايوثق بأحد يمكنه تطبيقه أبداً ، فإذاً النتيجة واحدة ، وهي أنه لايمكن للنـاس بحـال مـن الأحـوال تحكيـم الشـريعة الإسـلامية فـي شـئون حيـاتهم !!!

وكأن هذا الصنف من العلمانيين يحـاول القـول عـن ديـن الإسـلام ، إنـه ديـن فاشل غير واقعي ولاعملـي ولايمكـن تطـبيقه أبـداً ، فيجـب أن ننحـي الكلام على تطبيقه جانباً ، إذ لافائدة من تطبيقه في الحياة ، غير أنهم يعـدلون عـن التصريح بهذا القول الكافر ، إلى عبارات أخـرى بطـرق ملتويـة خبيثـة ، وقـد تنطلـــــــي علـــــــى الســـــــذج مـــــــن النـــــــاس .

وبهذا يتبين أن العلماني قد لايكون ذلك الشخص الذي يطعن في الدين جهاراً نهـاراً ،أو يسـب القـرآن والسـنة والأحكـام الشـرعية ، أويسـتهزأ بالشـريعة الاسلامية ،وإن كان فيهم من قد تصل به الوقاحة الـى هـذا الحـد ، يقلّـون أو يكـــــثرون بحســـــب قـــــوة الإســـــلام فـــــي المجتمـــــع .

بل العلمانيّ هو كل من يعتقد أنه غير ملزم باتباع جميع ما جاء عـن الرسـول صلّى الله عليه وسلم ، هو كل من يجعل نفسه مخيراً أن يرفض بعض أحكام دين الإسلام ، وهوكـلّ مـن يعتقـد أن الـدين ليـس شـاملا لكـل الحيـاة ، وأن الإنسان يمكنه أن يختار من أحكام الدين ما يشاء ويدع ما يشـاء ، متبعـاً فـي ذلـــــــك عقلـــــــه ، ومتخـــــــذاً إلهـــــــه هـــــــواه.

ثمَّ إنَّ هذا البعض من ديـن الإسـلام والـذي يرفضـه الشـخص العلمـانيّ ، قـد يعتقد أنه لايصلح للحيـاة المعاصـرة ، لزعمـه أن العقـل يقضـي بـذلك ، فقـد يقول لك على سبيل المثال إن المـرأة غيـر ملزمـة بالحجـاب الشـرعي لأنـه لايصلح لهذا الزمان ، أو يزعـم أن المـرأة لهـا أن تكـون قائـدة ورئيسـة لكـل الأمّة ، لأنّ حديث (ما أفلح قوم ولوا أمرهم إمرأة) لم يعد صالحا للعمل بـه فـــــــــــي هـــــــــــذا العصـــــــــــر .

أو أن الحدود الشرعيّة لاتصلح للتطبيق في هذا الزمـان لأنهـا وحشـية لاتليـق بالإنسان المتحضّر ، أو لأنّها تحط من كرامة الإنسان ، أو لأنّهـا تنـاقض ميثـاق حقوق الإنسان العالمي الذي يجّرم قطع السارق أو جلـد الزانـي ، والقـوانين الوضـــعيّة تصـــلح لأنهـــا تناســـب مســـتجدات العصـــر الحـــديث.

أو يقول إن النظام الاقتصاديّ لايمكن أن يقوم على تحريم الربا لأن ذلك أمـر غير واقعي ، أويقول إن تعبير الملحد عن إلحاده والإباحيّ عـن أبـاحيّته بنشـر فكره في المجتمع ، هو من قبيل توفير الحريّة ، ولايجوز كبت الحريّات ، وإذا قلت له إن الإسلام يحرّم نشر الإلحاد والإباحيّة ، قال لك : إن العصر قد تغيّر

، والزمان قد تحوّل ، ونحن في عصر الحريّة والعولمة ، وغير ذلك من الهذيان والتخبيط الذي يقصد به محاربة الدين بأساليب ملتوية .

والعلمانيُّ في كل ما سبق وأمثاله مما يرد به العلمانيُّون بعض أحكام الشريعة ، يزعم أنه ينطلق من عقله أو من اتباع زعماء حزبه الذين يقلدون مفكّري الغرب الملحدين ، وأولئك قوم كفار نصبوا عقولهم آلهة يعبدونها من دون الله ، وذلك عندما اتخذوها أربابا تُشرّع لهم.

ذلك أنَّ العقل هو الحاكم عند العلمانيين على أحكام الشريعة الإسلامية ، وعلى هدى القرآن والسنة ، وليست الشريعة الإسلامية عندهم هي التي توجّه وترشد وتهدي العقل الإنسانيِّ ، بل وظيفة العقل عند العلمانيين هي الإعتراض على أحكام الله تعالى كلّما جاءت معارضة لعقولهم الضالّة التائهة ، وعمل العقل عندهم هو استبدال شريعة القرآن ، بأحكام أوأفكار أوقوانين أو مباديء توافق عقولهم .

فهم إذن يعبدون عقولهم وأهواءهم . كما قال تعالى (أرأيت من اتخذ إلهه هواه ، أفأنت تكون عليه وكيلاً ، أم تَحسب أنّ أكثرَهُم يسمعُون أو يعقلُون إن هُم إلاّ كالأنعام بل هُم أضلُّ سبيلاً) الفرقان 43 ، 44
وقال سبحانه (ومَن أضلُّ ممَّن اتَّبعَ هواهُ بغيرِ هدىً مِنَ الله) القصص 5ـ
وقال سبحانه (وأنِ احكُم بينهَم بما أنزلَ اللهُ ولاتتَّبِع أهواءَهم واحذرهُم أن يفتِنوكَ عن بعضِ ما أنزَلَ اللهُ إليك) المائدة 49 ـ
إلى آخر الآيات التي تذم اتباع الهوى ، وتحذر من معارضة الدين المنزل والشريعة المطهرة بالأهواء ، ذلك أن الإنسان لايستغني عن هداية الله تعالى له ، كما قال الله تعالى في الحديث القدسيِّ (يا عبادي كلُّكُم ضالٌّ إلاَّ من هديتُه ، فاستهدوني أهدكم) ، ومن ظنَّ أنه يستغني عن اتباع هدى الله تعالى بعقله ، فيرد أحكام الله تعالى اتباعا لهواه ، فهو كافر بالله تعالى ، كما قال سبحانه (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) المائدة 44 .

ثانيا
بيانِ كفرِ من رفض حكم الله تعالى واعتقد أنه غير ملزم باتباع كلِّ ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم

أقسام الناس بالنسبة إلى موقفهم من الشريعة الاسلاميِّة :

ينقسم الناس بالنسبة إلى موقفهم من أحكام الشريعة الإسلامية الى أربعة أقسام :

القسم الأوّل: يقبلونها ويعتقدون أنها كلها حق ، كما قال تعالى (يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِن عِندِ رِبِّنا) آل عمران 3، ويعملون بها قدر استطاعتهم ، وهم مع ذلك إن عَصَوا وخالفوا ما أمر الله تعالى به ، استغفروا وتابوا ، كما قال تعالى (والذينَ إذا فَعلوا فاحشةً أو ظَلَموا أنفَسَهُم ذكرُوا اللهَ فاستغفروا لذنوِبهم ومَن يغفرُ الذنوبَ إلاّ الله ولم يُصِرُّوا على ما فعلوا وهُم يَعلُمون)

آل عمران 135، فهؤلاء هم المسلمون المؤمنون المستقيمون على طاعة الله تعالى ، ومنهم المقتصد الذي يأتي بالواجبات وينتهي عن المحرمات ،ومنهم السابق بالخيرات الذي يزيد في الطاعات والحسنات من النوافل والمستحبات .

القسم الثاني : وهم الذين يقبلون جميع أحكام الله تعالى وماجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويعتقدون أنها كلها حق من عند الله تعالى ، ولايعترضون على شيء منها ، ولايقولون نؤمن ببعض ونرفض بعضا بعقولنا وأهواءنا ، ولكنهم مع ذلك تغلبهم الشهوات فيقعون في الذنوب والمعاصي والآثام وهم يعلمون أنَّ ما فعلوه مخالف لأحكام الله تعالى ، ويقرون بأنهم عاصون مذنبون ، ولكنَّهم يسوِّفون التوبة ويؤخِّرونها بتزيين الشيطان وطول الأمل .
فهؤلاء عصاة فساق قد ظلموا أنفسهم ، لكنَّهم مسلمون لأنَّهم يؤمنون بالدين كلِّه ، ولايرفضون شيئا منه ، لاظاهراً ولاباطناً ، غير أنهم ناقصوا الإيمان ، وحكمهم أنَّ أمرهم إلى الله تعالى إن ماتوا على المعاصي ولم يتوبوا منها قبل الموت ، فيحكم الله فيهم يوم القيامة ، إن شاء غفر لهم ،وان شاء عذبهم ، وإن عذَّبهم فمآلهم بعد العذاب إلى الجنَّة ماداموا موحِّدين من أهل الصلاة ، مالم تهوي بهم كبائر الذنوب إلى حضيض الشرك والكفر قبل الموت ، لأن الكبائر كما قال العلماء هي دهليز الكفر ، وأهل الكبائر على خطر عظيم ، ومن ذلك أن يُران على قلوبهم مع كثرة الذنوب ، فيسهل عليهم الكفر بالله تعالى ، فيصيرون إليه قبل الموت ، خذلاناً من الله تعالى ، عياذا بالله من سوء الخاتمة.

القسم الثالث : وهم الذين يرفضون أحكام الله تعالى كلها ، ويعتقدون أن الأديان ليست سوى اجتهادات بشريِّة لمصلحين اجتماعيين أو مفكرين سياسيين ، ولايوجد وحي من الله تعالى منزل على الرسل عليهم السلام ، وقد يعتقد بعض هؤلاء أن الله تعالى خلق الكون والإنسان ، ولكنَّه تركه ليهدي نفسه بنفسه ، لأنَّه ركَّب فيه العقل وتركه ينير للإنسان طريق الهداية ، وهؤلاء هم الكفّار الذين لايؤمنون بما أنزل الله تعالى ، والذين قال الله تعالى عنهم (وقال الذين كفرُوا لاتَسمَعُوا لهذا القرآنِ والغوا فِيهِ لعلَّكُم تَغلِبُون) فصلت 26

القسم الرابع : وهم الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض ، ويجعلون الدين أجزاء بحسب أهواءهم ، ويقولون نؤمن بما يوافق أهواءنا منه ، ونرفض ما سواه ، أونعرض ذلك على التصويت حسب عدد الأصوات ، فما قبله أكثر الناس بناء على قناعاتهم العقليِّة التزمناه وجعلناه قانوناً حاكماً على العباد لاحاكم سواه ، وعاقبنا من يخالفه ، ومارفضه التصويت والعقل تركناه وأهملناه ، ولايهمُّنا أن الله تعالى أنزله وفرضه ، فالعقل والتصويت هما الحاكمان علىالدين ، وهما الإله المعبود لديهم ، وهما الكتاب المنزَّل المتَّبع عندهم ، وهما المنهج الهادي ، بدل كتاب الله تعالى وسنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وقد صدق عليهم قول الحق سبحانه (أَلَم تَرَ إِلى الذينَ بَدَّلوُا نعمةَ اللهِ كُفراً وَأَحَلُّوا قَومَهُم دارَ البَوار ، جَهَنَّمَ يَصلَونَها وبِئسَ القَرار) سورة إبراهيم 28

ولاريب أن التشريعات المناقضة لشريعة الله تعالى ، ليست سوى أنداد تضل عن شريعة الله التي هي سبيله وصراطه المستقيم الذي وضعه نورا وهدى للناس ، ويصدق عليها قوله تعالى(وجعلوا لله أندادا ليضلوا عن سبيله قد تمتعوا فإن مصيركم إلى النار)سورة ابراهيم 29

حكم العلمانيين الذين يؤمنون ببعض الدين ويكفرون ببعض :
من المعلوم أن الدين كلٌّ ، لايقبل أن يتجزأ من جهة القبول به والإ ذعان له ، وأن من رفض حكما من أحكام الله تعالى ، وكفر به واعتقد أنه لايصلح لهذا الزمان ، وأن تطبيقه يجب أن يعرض على العقل ، أو على التصويت ، فان وافق ذلك أحكام الله تعالى كان بها ونعمت ، وان لم يوافق تركنا ما أنزل الله تعالى وراء ظهورنا ، واتبعنا عقولنا ونتيجة التصويت ، من زعم ذلك فهو كافر مشرك بالله تعالى .

كما قال تعالى في كتابه العزيز عن الذين آتاهم الكتاب من اليهود ثم لما جاءهم الحقُّ ، آمنوا ببعض الكتابِ ، وكفرُوا ببعضِهِ الآخر . قال سبحانه (أفتؤمنون ببعضِ الكتابِ وتكفرونَ ببعض ، فماجزاءُ من يفعلُ ذلكَ منكُم إلاّ خزيٌ في الحياةِ الدُنيا ، ويومَ القيامةِ يردُّونَ إلى أشدِّ العذابِ وماالله بغافلٍ عمَّا يَعملُون) البقرة 85
ونسوق فيما يلي الآيات القرآنية الدالة على كفر من لم يعتقد وجوب التحاكم إلى شريعة الله تعالى في كل صغير وكبير ، ومن آمن ببعض أحكام الله تعالى دون بعض :

1 قال سبحانه (ويقولون نُؤمنُ ببعضٍ ونكفُرُ ببعضٍ وَيُريدُونَ أن يَتَّخِذوُا بيَنَ ذلكَ سبيلاً ،أولئكَ هُمُ الكافِرونَ حقاً وأعتَدنا للكافرينَ عذاباً أليماً) النساء 150،151

2 وقال سبحانه (ياأيُّها الذينَ أُوتُوا الكتابَ آمِنوُا بما نزَّلنا مصدِّقاً لما معكُم مِن قَبلِ أن نَطمِسَ وُجوهاً فَنَرُدَّها على أدبارِها أو نَلعَنَهُم كما لعنَّا أصحابَ السبتِ وكان أمرُ اللهِ مفعولاً) النساء 47

3 وقال سبحانه (ألم ترَ إلى الذينَ أُوتوُا نصيباً منَ الكتابِ يؤمنونَ بالجبتِ والطاغوتِ ويقولونَ للذينَ كفروُا هؤلاءِ أهدى منَ الذينَ آمنوُا سبيلاً ، أولئِكَ الذينَ لعنهُم اللهُ ومن يَلعن اللهُ فلن تَجدَ لهُ نصيراً) النساء 51،52
وسنتوقف قليلاً عند تفسير هذه الآية : يقول الله تعالى إنّ الذين أتاهم الكتاب من اليهود ، لماجاءهم محمّد صلّى اللهُ عليه وسلّم بالبيّنات والهُدى ، فضلوا الإيمان بالجبت والطاغوت ، والطاغوت اسم لكل مايعبد من دون الله ، وكذلك هم اسم لكل ما يطاع أو يتبع من دون الله تعالى فيما يخالف حكمَ اللهِ تعالى ، فكلّ منهج يخالف منهج الله تعالى ، فهو طاغوت ، وهؤلاء اليهود فضَّلوا الإيمان بالجبت و الطاغوت على الإيمان بما أنزل الله تعالى ، كما فضل العلمانيُّون الإيمان بأهواءهم وعقولهم على الإيمان بما أنزل الله تعالى ، فجعلوا الدين أجزاء على وفق أهواءهم ، فكفروا ببعض وآمنوا ببعض ، فكفروا على سبيل المثال بالحدود الشرعية ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتحريم الربا ، وفرض الحجاب على النساء ، وغيرها من أحكام الدين ، وزعموا أنهم مؤمنون ، لكنَّ الله تعالى كذَّبهم .

ثم أخبر سبحانه في هذه الآية أنهم يعتقدون أن منهج الذين كفروا أهدى من منهج المؤمنين ، كما قال تعالى (ويقولُونَ للّذينَ كفرُوا هؤلاءِ أهدى مِنَ الذينَ آمنوا سبيلاً) ، وكذلك العلمانيُّون يعتقدونَ أنّ المنهج العلمانيَّ والليبراليَّ ، أهدى مما أنزل الله تعالى ، ولولا ذلك ما اتبعوه معرضين عن أحكام الله تعالى .

4 وقال سبحانه (قل آمنّا باللهِ وماأُنزِلَ عَلَينا وما أُنزِلَ على إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطِ وما أُوتِيَ موُسى وعِيسى والنبيُّون مِن رَبِّهِم لانفرِّقُ بيَن أَحَدٍ مِنهُمُ ونَحنُ لَهُ مُسلِمُوُن ، ومَن يَبتغِ غيَر الإسلامِ ديناً فَلَن يُقبَلَ مِنهُ وهُوَ في الآخرةِ مِن الخاسِرين) آل عمران 85، فالإسلام هو الإيمان بكلِّ ما أنزَل اللهُ تعالى ، واتِّباع كلِّ أحكامِ الله تعالى .

5 وقال تعالى (يا أيُّها الذينَ آمنوُا ادخلُوا في السِّلم كافَّةً ولاتتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَيطانِ إنَّه لَكُم عدُوٌ مُبِين) البقرة 2.8 ومعنى السِّلم في هذه الآية هو الإسلام ، أي ادخُلُوا في جميع الإسلام ، وآمنوا بجميع أحكامه ، لا كالذين يؤمنون ببعض ، ويكفرون ببعض .

6 وقال تعالى (وأَنِ احكُم بينَهُم بما أَنزَلَ اللهُ ولاتتَّبِع أهواءَهم واحذَرهُم أن يَفتِنوُكَ عَن بعضِ ما أَنزَلَ اللهُ إليكَ ، فإن تَولَّوا فاعلَم أنَّما يُريدُ اللهُ أن يُصيبَهُم ببعضِ ذنوبِهِم وإنَّ كثيراً مِنَ النّاسِ لفاسقُون ، أَفَحُكمَ الجاهليِّةِ يَبغُونَ ومَن أَحسَنُ مِنَ اللهِ حُكماً لِقَومٍ يُوقِنوُن) المائدة 49، 5ـ وحكم الجاهلية هو جعل الايمان بما أنزل الله تعالى تبعا للأهواء ، لأنّهم يريدون الايمان ببعض ما جاء به محمد صلّى الله عليه وسلّم ، والكفر ببعضه الآخر ، وقالوا له نؤمن بما جئت به سنة ، ونؤمن بما نحن عليه من أمر الجاهلية سنة ، ولهذا حذَّر الله نبيَّه صلّى اللهُ عليه وسلّم أن يتنازل عن أي شيء مما أنزل الله تعالى ، قال تعالى (واحذرهم أن يَفتِنوُكَ عَن بَعضِ ماأَنزَلَ اللهُ إليك).

7 وقال تعالى (ومَن لم يَحكُم بما أَنزلَ اللهُ فأُولئِك هُمُ الكافرون) المائدة 44، وقال تعالى (ومَن لَم يَحكُم بما أنزلَ اللهُ فأُولئِك هُمُ الظالِمُوُن) المائدة 45، وقال تعالى(وَمَن لَم يَحكُم بما أَنزَلَ اللهُ فأُولئِك هُمُ الفاسقُون) المائدة 47
ومقتضى هذه الآيات من تسمية الحاكم بغير ما أنزل اللهِ تعالى كافرا وظالما وفاسقا ، يصدُقُ على القليلِ والكثيرِ مِنَ الحُكمِ بغيرِ ما أَنزَلَ الله تعالى ، كما يصدق على الجزء والكلّ ، فكلّ من أعرض عن شيء من أحكام الله تعالى ، معتقداً أنَّه لايجب عليه التزام الحكم بها فهو كافر ، ظالم ، فاسق ، وقد أجمع المسلمون على هذا .

8 وقال سبحانه (كَذلكَ نَقصُّ عَليكَ مِن أَنباءِ ما قَد سَبَق ، وَقَد آتينَاكَ مِن لدُنّا ذكراً مَن أعرَضَ عَنهُ فإنّهُ يَحمِلُ يَومَ القِيامَةِ وِزراً ، خالِدِينَ فيهِ وساءَ لَهُم يَومَ القيامَةِ حِملاً) طه 991.1 ، والذِّكرُ هُوَ ما أنزَلَ اللهُ تعالى ، وهو القرآن العظيم ، وما يشتمل عليه من أحكام ، فمن أعرض عنه ، أوعن بعضه مفضلا مناهج كفرة الغرب أو الشرق ، فإنّه يأتي يوم القيامة حاملاً وزراً عظيماً ، وهو وزر الكفر الذي يخلد صاحبه في النار عياذا بالله .

9 وقال سبحانه (وَمَن أعرضَ عن ذِكري فإنَّ لَهُ معيشةً ضَنكا ، ونَحشُرُه يَومَ القِيامَةِ أعمى ، قالَ رَبِّ لمَ حَشَرتَني أعمى وَقَد كُنتُ بَصِيرا ، قال كذلكَ أتَتكَ آياتنا فَنسيتَها وكَذلكَ اليومَ تُنسى ،وَكَذلكَ نَجزي مَن أسرَفَ ولَم يُؤمِن بآياتِ ربِّهِ ولعذابُ الآخرةِ أشدُّ وأبقى) طه 124 127 ، والعلمانيُّون أعرضوُا عن اتباع الذكر وهو القرآن ، وأتتهم آيات الله فنسوها ،فكان لهم بذلك الشقاء في الدنيا ، ذلك أنهم لم يفلحوا في شيء من شئونهم ، وتخبطوا في كل أمورهم ، فأفسدوا على الناس معايشهم الدنيوية ، فانتشرت بسبب مبادئهم الضالّة ، واعراضهم عن أحكام الله تعالى التي أنزلها رحمة ونوراً وهدى الناس ، انتشرت الجرائم والمخدرات والدعارة وألوان الفساد ، وخرَّبوا الإقتصاد باتّباعهم النظام الربويّ معرضين عن أحكام الله تعالى ، وأفسدوا المرأة وأهانوها وحوَّلوها إلى سلعةٍ تُباع وتُشترى ، وقذفوا بها في كل موضع تنتهك فيه كرامتها وهم يزعمون تحريرها ، وامتلأت بسببهم حياة الناس شقاءً وضنكاً وفساداً في البلاد الغنيّة ، وتمثل ذلك في اختلال الأمن وشيوع الفواحش والأمراض الجنسية والنفسية والجريمة المنظمّة وشعور الناس بالضياع والخوف ، كما امتلأت الحياة فقراً وجوعاً وظلماً في البلاد الفقيرة ، وضجّت الأرض والبلاد والعباد مما يفعلونه في العالم من الخراب .

ومما يدل أيضا على كفر من يرد شيئا مما أنزل الله تعالى كلَّه أوبعضه معرضاً عنه مفضلاً عليه سواه :

10 ،قول الحق تعالى (أَلم تَرَ إلى الذينَ يَزعُمُونَ أَنَّهم آمنوُا بِما أُنزِلَ إليكَ وما أُنزِلَ مِن قَبلِكَ يُريدُونَ أن يَتحاكَمُوا إلى الطاغوُتِ ، وَقَد أُمِرُوا أن يَكفُروُا بِهِ وَيُريدُ الشَيطانُ أن يُضلَّهُم ضلالاً بَعيداً ، وإذا قِيلَ لَهُم تَعالَوا إلى ما أنزَلَ اللهُ وإلى الرسولِ رَأيتَ المنافِقينَ يَصدُونَ عَنكَ صُدوداً) النساء 6.، 61

والطاغوت اسم عامٌّ يشمل كل معبود أو مطاع أو متَّبع ينصبه الناس حكماً لهم من دون الله ، ويجعلون كلامه هو القول الفصل الذي يحكم بينهم ، بديلا عن شريعة الله ، وهو كل مناهج يناقض منهج الله ، فكلُّ مَن يَتحاكَم إلى عقلِهِ ، أو إلى منهج بشريٍّ يخالف منهج الإسلام ، أو إلى شريعةٍ وضعيّةٍ ، معرضاً عن شريعة الله تعالى ، نابذاً وراء ظهره أحكام الله تعالى في قليلٍ أو كثيرٍ ، فهو مؤمن بالطاغوت كافر بالله تعالى . وكل من يقال له : هَلمَّ إلى ما أنزلَ اللهُ تَعالى ، وإلى ما جاء به الرسول صلّى اللهُ عليه وسلّم من الهدى والحق والنور المبين ، فصدَّ عن ذلك راغباً عنه ، واتبَّع غيرَ ما أنزلَ اللهُ تَعالى ، فَهُو من المنافقين الذين قال الله فيهم (إنَّ المنافِقينَ في الدَركِ الأسفَلِ مِنَ النّار وَلَن تَجِدَ لَهُم نَصيراً) النساء 145 والمنافقون هم الذين وصفهم الله تعالى بقوله (مُذَبذَبينَ بَينَ ذلكَ لا إلى هؤُلاءِ ولا إلى هؤُلاء) النساء 143 أي أنَّهم متحيرون ، فلاهم الذين يتبعون ما أنزل الله تعالى ، ولاهم الذين يثبتون على غيره أيضا ، فتارة يؤمنون بالشيوعيّة ، وتارة بالاشتراكيّة ، وتارة بالبعثيّة ، وتارة بالقوميّة ، وتارة بالليبراليّة ، وتارة بالماركسيّة ، وتارة بالقوانين الوضعيّة ، وتارة ببعض أحكام الشريعة الاسلاميّة وفق أهواءِهم ، فَهُم مُذَبذَبون دائماً ، كما قال تعالى (بَل كَذَّبوُا بالحَقِّ لمّا جاءَهُم فَهُم في أمرٍ مرِيجٍ) ق 5، أي أن كلَّ مُكَذِّبٍ بالحقِّ يُصبِحُ في حالٍ مُضطَرب غاية الإضطِراب .

11 وقال سبحانه (كان النّاسُ أمَّةً واحدةً فَبَعَثَ اللهُ النبيِّينَ مُبَشِّرينَ وَمُنذِرينَ وَأَنزَلَ مَعَهُم الكِتابَ بالحقِّ لِيَحكُمَ بَينَ النّاسِ فِيما اختَلَفُوا فِيه) البقرة 213 فبيَّن أنَّه أنزَلَ الشريعةَ لِكَي تَكونَ حاكمةَ بين العباد في كل صغير وكبير من شئون حياتهم ، وفي كل ما يختلفون فيه .

12 وقال سبحانه (فلاوَرَبِّكَ لايُؤمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فيما شَجَرَ بَينَهُم ثُمَّ لايَجِدُوا في أنفُسِهِم حَرَجاً مِمَّا قَضَيتَ وَيُسَلِّمُوا تَسلِيماً) النساء 65، فكل من وجد في نفسه حرجا من شيء مما أنزل الله تعالى ، فقد أقسم الله تعالى بنفسه العليَّة أنه لايكون مؤمنا .

13 وقال سبحانه (ثُمَّ جَعَلنَاكَ عَلى شَرِيعةٍ مِنَ الأَمرِ فاتَّبِعها ولاتَتبَّع أَهواءَ الذِينَ لايَعلَمُونَ ، إنَّهُم لَن يُغنُوا عَنكَ مِنَ اللهِ شَيئاً وإنَّ الظالِمينَ بَعضُهُم أَولِياءُ بَعض واللهُ ولِيُّ المُتَّقِين ، هذا بَصائِرُ للنّاسِ وَهُدى وَرَحمَةٌ لِقَومٍ يُوقِنُون) الجاثية 18 2. والعلمانيون هم الذين يتبعون أهواء الذين لايعلمونَ من كفرة ملاحدة أوربّا الضالّين .

وقد أمر الله تعالى نبيّه الكريم في هذه الآية الكريمة أن يستقيم على الشريعة ، ونهاه أن يتبع أهواء الجاهلين ، وبين أنه أنزل هذا القرآن المشتمل على الشريعة التامة ، فهي البصائر والهدى والرحمة ، وغيرها الضلال والحيرة والجهل .

فهذه أربع عشرة آية في الكتاب العزيز ، ونظائرها أكثر من أن تحصر في هذا الموضع ، وكلها دالة دلالة قطعية على أن من علم حكم الله تعالى ، ثم رفض أن يلتزمه معتقدا أنه يسعه ذلك فهو كافر بالله تعالى ، ولاينفعه زعمه أنه مؤمن بروح الشريعة أو جوهر الدين كما يقول العلمانيون والليبراليون .

هذا ولم يقرِّر القرآن أصلاً بعد توحيد الألوهية كما قرر هذا الأصل العظيم ، وهو وجوب الاحتكام إلى الشريعة الإلهية ، وطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم في كل ما جاء به ، مما يُؤذن بخطر التهاون في هذا الشأن العظيم ، كيف وقد قرر القرآن أن الإعراض عن الشريعة واتباع غيرها عبادة للطاغوت ، كما تقدم في آية سورة النساء .

ورحم الله العلامة ابن القيم اذ يقول : (فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله ، أو يعبدونه من دون الله ، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله ، أو يطيعونه فيما لايعلمون أنه طاعة لله ، فهذه طواغيت العالم إذا تدبرتها وتأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم من عبادة الله إلى عبادة الطاغوت) إعلام الموقعين (1/50)

ثالثا

بيان معنى الليبراليَّة وأنها ليست سوى وجه من وجوه شجرة العلمانيَّة الخبيثة

الليبراليَّة هي وجه آخر من وجوه العلمانيِّة ، وهي تعني في الأصل الحريِّة ، غير أن معتنقوها يقصدون بها أن يكون الإنسان حراً في أن يفعل ما يشاء

ويقول ما يشاء ويعتقد ما يشاء ويحكم بما يشاء ، فالإنسان عند الليبراليين إله نفسه ، وعابد هواه ، غير محكوم بشريعة من الله تعالى ، ولا مأمور من خالقه باتباع منهج إلهيّ ينظم حياته كلها ، كما قال تعالى (قُل إنَّ صَلاتي ونُسُكِي وَمَحيايَ وَمَماتي للهِ رَبَّ العالَمِينَ ، لاشَريكَ لَهُ وَبِذلِكَ أُمِرتُ وَأنا أَوَّلُ المِسلِمين) الانعام 162، 163 ، وكما قال تعالى (ثمَّ جَعَلنَاكَ عَلى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمرِ فَاتَّبِعها وَلاتتَّبِع أَهواءَ الذِينَ لايَعلَمُون) الجاثية 18 ، وكما قال تعالى (وأن احكُم بَينهُم بِما أَنزَلَ الله ولاتَتَّبِع أهواءَهُم) المائدة 49 ، وغيرها من الآيات الكثيرة .

ولهذا فإن الليبراليَّة لاتُعطيك إجابات حاسمة على الأسئلة التالية مثلا : هل الله موجود ؟ هل هناك حياة بعد الموت أم لا ؟ وهل هناك أنبياء أم لا ؟ وكيف نعبد الله كما يريد منّا أن نعبده ؟ وما هو الهدف من الحياة ؟ وهل النظام الإسلاميُّ حق أم لا ؟ وهل الربا حرام أم حلال ؟ وهل القمار حلال أم حرام ؟ وهل نسمح بالخمر أم نمنعها ، وهل للمرأة أن تتبرج أم تتحجب ، وهل تساوي الرجل في كل شيء أم تختلف معه في بعض الأمور ، وهل الزنى جريمة أم علاقة شخصية وإشباع لغريزة طبيعية إذا وقعت برضا الطرفين ، وهل القرآن حق أم يشتمل على حق وباطل ، أم كله باطل ، أم كله من تأليف محمد صلى الله عليه وسلم ولايصلح لهذا الزمان ، وهل سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وحي من الله تعالى فيحب أتباعه فيما يأمر به ، أم مشكوك فيها ، وهل الرسول صلى الله عليه وسلم رسول من الله تعالى أم مصلح اجتماعي ، وما هي القيم التي تحكم المجتمع ؟ هل هي تعاليم الاسلام أم الحرية المطلقة من كل قيد ، أم حرية مقيدة بقيود من ثقافات غربية أو شرقية ، وماهو نظام العقوبات الذي يكفل الأمن في المجتمع ، هل الحدود الشرعية أم القوانين الجنائية الوضعية ، وهل الإجهاض مسموح أم ممنوع ، وهل الشذوذ الجنسي حق أم باطل ، وهل نسمح بحرية نشر أي شيء أم نمنع نشر الإلحاد والإباحية ، وهل نسمح بالبرامج الجنسية في قنوات الإعلام أم نمنعه ، وهل نعلم الناس القرآن في المدارس على أنه منهج لحياتهم كلها ، أم هو كتاب روحي لاعلاقة له بالحياة ؟

فالليبراليّة ليس عندها جواب تعطيه للناس على هذه الأسئلة ، ومبدؤها العام هو : دعوا الناس كلٌّ إله لنفسه ومعبود لهواه ، فهم أحرار في الإجابة على هذه الأسئلة كما يشتهون ويشاؤون ، ولن يحاسبهم رب على شيء في الدنيا ، وليس بعد الموت شيء ، لاحساب ولا ثواب ولاعقاب .

وأما ما يجب أن يسود المجتمع من القوانين والأحكام ، فليس هناك سبيل إلا التصويت الديمقراطي ، وبه وحده تعرف القوانين التي تحكم الحياة العامة ، وهو شريعة الناس لاشريعة لهم سواها ، وذلك بجمع أصوات ممثلي الشعب ، فمتى وقعت الأصوات أكثر وجب الحكم بالنتيجة سواء وافقت حكم الله وخالفته .

ولايقيم الليبراليون أي وزن لشريعة الله تعالى ، إذا ناقض التصويت الديمقراطي أحكامها المحكمة المنزلة من الله تعالى ، ولايبالون أن يضربوا بأحكامها عرض الحائط ، حتى لو كان الحكم النهائي الناتج من التصويت هو عدم تجريم الزنا إلا إذا وقع بإكراه ، أوعدم تجريم شرب الخمر ، أوكان

تحليلاً للربا ، أوكان السماح بتبرج النساء ، أو التعري والشذوذ الجنسي والإجهاض ، أونشر الإلحاد تحت ذريعة حرية الرأي ، ..الخ .

وكل شيء في المذهب الليبراليّ متغيِّر ، وقابل للجدل والأخذ والردِّ حتى أحكام القرآن المحكمة القطعيِّة ، وإذا تغيَّرت أصوات الاغلبيَّة تغيَّرت الأحكام والقيم ، وتبدلت الثوابت بأخرى جديدة ، وهكذا دواليك ، لايوجد حق مطلق في الحياة ، وكل شيء متغير ، ولايوجد حقيقة مطلقة سوى التغيُّر .

فإذن إله الليبراليِّة الحاكم على كل شيء بالصواب أو الخطأ ، حرية الإنسان وهواه وعقله وفكره ، وحكم الأغلبيِّة من الأصوات هو القول الفصل في كل شئون حياة الناس العامة ، سواءٌ عندهم عارض الشريعة الإلهيّة ووافقها ، وليس لأحد أن يتقدَّم بين يدي هذا الحكم بشيء ، ولايعقِّب عليه إلا بمثله فقط .

غير أن العجب كلَّ العجب أنَّه لو صار حكمُ الأغلبيِّة هو الدين ، واختار عامة الشعب الحكم بالإسلام ، واتباع منهج الله تعالى ، والسير على أحكامه العادلة الشاملة الهادية إلى كل خير ، فإن الليبراليّة هنا تنزعج انزعاجاً شديداً ، وتشن على هذا الاختيار الشعبي حرباً شعواء ، وتندِّدُ بالشعب وتزدري اختياره إذا اختار الإسلام ، وتطالب بنقض هذا الاختيار وتسميه إرهاباً وتطرفاً وتخلفاً وظلاميّة ورجعيّة ..الخ

كما قال تعالى (وإذا ذُكِر اللهُ وَحدَهُ اشمَأَزَّت قلوبُ الذين لايُؤمِنُونَ بِالآخرِةِ وَإِذا ذُكِرَ الذينَ مِنَ دونِهِ إذا هُم يَستَبشِروُن) الزمر 45 .

فإذا ذُكر منهج الله تعالى ، وأراد الناس شريعته اشمأزت قلوب الليبراليين ، وإذا ذُكِر أيُّ منهجٍ آخر ، أو شريعة أخرى ، أو قانون آخر ، إذا هم يستبشرون به ، ويرحِّبون به أيَّما ترحيب ، ولايتردَّدون في تأيِّيده .

فإذن الليبراليِّة ماهي إلاّ وجه آخر للعلمانيِّة التي بنيت أركانها على الإعراض عن شريعة الله تعالى ، والكفر بما أنزل الله تعالى ، والصد عن سبيله ، ومحاربة المصلحين ، وتشجيع المنكرات الأخلاقيِّة ، والضلالات الفكريِّة ، تحت ذريعة الحريِّة الزائفة ، والتي هي في حقيقتها طاعة للشيطان وعبودية له.

هذا وقد يتبيّن لكل ذي بصيرة ، أنَّهم عندما يدعون الناس إلى مخالفة الشريعة الإلهيّة ، زاعمين أنهم يمنحونهم الحرية ، أنها خديعة وفخ يصيدون به المغفلين من ضعاف العقول ، وبغيتهم أن يخرجوا الناس من عبادة الله تعالى وحده باتباع صراطه المستقيم ، إلى عبادة مفكِّريهم ومنظِّريهم ، وإلى إتِّباع أهواءِهم والسيرِ على مناهجهم الضالَّة ، وعندما يقولون للشعب أنت حرُّ في أن تفعل ما تشاء ، فكأنهم يقولون له كن أسيراً وعبداً لشهواتك وهواك ، ولنزغ الشيطان ، ذلك أن دأب الشيطان أن يزين للإنسان فعل السوء والفحشاء ، ويوسوس له بالشر والضلال فيطيعه ويتبعه ، وهو يظنُّ أنه حرُّ في تصرفاته ، بينما هو متبع مستعبد للشيطان من حيث لايشعر ، كما قال تعالى (وزيَّنَ لَهُم الشَيطانُ أعمالَهُم فَصَدَّهُم عَنِ السَّبيل) العنكبوت 38 ، وقال سبحانه أيضا (وَلَقَد صَدَّقَ عَلَيهِم إبلِيسُ ظَنَّهُ فاتَّبَعُوه إلاَّ فَريقاً

مِنَ المؤمِنين) سبأ 20 ، وقال سبحانه (وَمَن يَعشُ عَن ذِكرِ الرَّحمَن نُقَيِّض لَهُ شَيطاناً فَهُوَ لَهُ قَرِين) الزخرف 36 ، ومعنى يعش عن ذكر الرحمن ، أي يَعمى عن اتباع ما أنزل الله تعالى .

فالليبراليّة إذاً إنما تقول للناس دعوا عبادة الله تعالى واتباع شريعته ، إلى طاعة وعبادة الهوى والشيطان ، فهي تدعو إلى الشرك والكفر وفعل الفحشاء والمنكر .

وهي عندما تزعم أنَّه لايوجد حقٌّ مطلق إلا الحريَّة والتغيُّر ، فإنها تكفر بثوابت القرآن والسنة ، وبأحكام الشريعة المحكمة التي أنزلها الله تعالى لتكون نبراساً لهداية الناس إلى يوم القيامة ، وما الشريعة إلا الحق المبين الراسخ الذي لايتغيَّر ولايتبدَّل مهما تغيَّر الزمان والمكان .

كما قال تعالى واصفاً نفسه العليَّة (أَفَمَن يَهدِي إلى الحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَع أَمَّن لايَهِدِّي إلاَّ أَن يُهدى فَما لَكُم كَيفَ تَحكُمُون) يونس 35 وقال سبحانه (فَذلِكُم اللهُ رَبُّكُم الحَقَّ فَماذا بَعدَ الحقِّ إلاَّ الضلال فأنى تصرفون) يونس 32 وقال سبحانه (والذينَ هُم بآياتِنا يُؤمِنُون ، الذينَ يَتَّبِعُون النَّبيَّ الأُمِيَّ الذي يَجِدُونَهُ مكتوباً عِندَهُم في التَوراةِ وَالإنجِيل يَأمُرُهُم بِالمَعرُوفِ وَيَنهاهُم عَن المُنكَر ، وَيُحِلُّ لَهُم الطَيِّباتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيهِم الخبائِث) الأعراف 156، 157 .

وكما قال تعالى (قُل ياأَيُّها النّاسُ إنيِّ رَسُولُ اللهِ إلَيكُم جمَيعاً الذي لَهُ مُلكُ السمواتِ وَالأرضِ لاإلهَ إلاَّ هُوَ يُحيِي وَيُمِيت ، فَآمِنُوا باللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِيِّ الذي يُؤمِنُ بِاللهِ وَكَلِماتِهِ واتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُم تُهتَدُون) الأعراف 158 ـ

وكما قال تعالى (الذينَ إن مَكَّناهُم في الأرضِ أَقامُوا الصلاةَ وَآتَوا الزَكاةَ وَأَمَرُوا بِالمَعرُوفِ وَنَهَوا عَن المُنكَر وَللهِ عَاقِبَةُ الأمور) الحج 41 ـ

والليبراليّة عندما تسوي بين دين الله الحق وغيره من الأهواء الباطلة ، وعندما تسوّي بين المؤمنين بالله تعالى المتبعين لدينه ، والكافرين به ، بزعم أن الجميع سواء في مبدأ الحريّة ، فهي بذلك تشرّع شريعة تناقض شريعة الله تعالى القائل (أَفَمَن كانَ مُؤمِناً كَمَن كان فاسِقاً لايَستَوُون) السجدة 18 والقائل (أَفَنَجعَل المُسلِمِين كَالمجُرِمِينَ ، مالَكُم كَيفَ تَحكُمُون) القلم 35، 36 .

والمذهب الليبراليّ بهذا المنهج الضال ، يبطل دين الله كله ، ويطوي أحكامه التشريعيَّة برمَّتها ، ويضع بدلها أحكاما أخرى من عنده ، أحكاما لاتقيم وزنا لما أنزله الله تعالى من البيِّنات والهدى والكتاب المنير .

والخلاصة أن المنهج الليبراليّ ليس سوى الضلال بعينه ، وهو الكفر والشرك برسمه واسمه ، وماهو إلاَّ صدٌّ عن سبيلِ اللهِ تعالى ، ونَقض لأحكامِ اللهِ تعالى ، ودعوة للناس إلى الخروج عن شريعة الله تعالى ، وإشاعة الفوضى الفكرية والعقائدية في حياة الناس .

هذه هي الليبراليّة ، وحكمها في الإسلام هو نفس حكم العلمانيّة سواء بسواء

، لأنهـا فـرع مـن فـروع تلـك الشـجرة ، ووجـه آخـر مـن وجوههـا .

وبهـذا يعلـم أنـه يجـب شـرعا ، بـل هـو مـن أهـم واجبـات الـدين ، أن يُبَيَّـن للمسلمين خطر هذه الأحزاب العلمانية والليبرالية ، ويُوَضَّح لهـم مـا تشـتمل عليه من أفكار تهدم العقيدة والشريعة والأخلاق ، ويجـب أن يُـدعى أصـحابُها إلى الإسلام ، ويُكشف لهم حكم الإسلام في حقيقة مذهبهم الذي يعتقـدونه ، وأنه مناقض للإسلام تمام المناقضة ، وأن في تركهم له نجاتهم مـن الهلاك .

ويجب أن يُدعَون إلى أن يُقِرُّوا بوجوب الإحتكام إلى الشريعة الإلهيَّة في كـلِّ صغير وكبير من شئون الحياة ، ولايجوز إقرارهم على أي مبـدأ لاينطلـق مـن هذا الأصل الذي هو أصل الدين الأصيل ، وركنه الجليل ، كما قال تعالى (ثُـمَّ جَعَلناكَ على شَريعَةٍ مِنَ الأَمرِ فاتَّبِعها وَلاتتَّبِع أَهواءَ الذينَ لايَعلَمُـون) الجاثيـة 18 وقال (واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليـك) المائـدة 49 ، وقال (فاستَقِم كَمَا أُمِرتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاتَطغَـوا إِنَّـهُ بِمـا تَعمَلُـونَ بَصِـير ، وَلاتَركَنُوا إِلى الذينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُم النّارُ وَمالَكُم مِن دُونِ اللهِ مِن أَولِيـاءَ ثُـمَّ لاتُنصَـــــــــرُون) هـــــــــود 112، 113 .

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى (ثم أخبر الله تعالى عن هـؤلاء بـأنهم إذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسـول أعرضـوا عـن ذلـك ، ولـم يستجيبوا للداعي ، ورضوا بحكم غيره ، ثم توعدهم بأنهم إذا أصابتهم مصـيبة في عقولهم وأديانهم وبصائرهم وأبدانهم وأموالهم بسبب إعراضهم عمـا جـاء به الرسول صلىالله عليه وسلم وتحكيم غيره والتحاكم إليه كما قال تعالى : (فإن تَوَلَّوا فَاعلَم أَنَّما يُرِيدُ اللهُ أَن يُصيبَهُم بِبَعضِ ذُنوبِهِم وإِنَّ كَثيراً مِنَ النّاسِ لَفَاسِقُون ،) اعتـذروا بـأنهم إنمـا قصـدوا الاحسـان والتوفيـق ، أي بفعـل مـا يرضى الفريقين ويوفق بينهما ، كما يفعله من يـروم التوفيـق بيـن ماجـاء بـه الرسول صلى الله عليه وسـلم وبيـن مـا خـالفه ، ويزعـم أنـه بـذلك محسـن قاصد الإصلاح والتوفيق ، والإيمان إنما يقتضـي إلقـاء الحـرب بيـن ماجـاء بـه الرسول صلى الله عليه وسلم وبين كل ما خالفه من طريقة وحقيقة وعقيدة وسياسة ورأي ، فمحض الإيمان في هذا الحرب لا في التوفيق وبالله التوفيق) إعلام الموقعين (1/50) .

والله أعلم
وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين
حسبنا الله ونعم الوكيل

حامد عبدالله العلي
الكويت في 23محرم 1422هـ